ثالثا: تعريف البيداغوجيا الفارقية

*مفهوم البيداغوجيا pédagogie يحيلنا إلى عدة تعريفات اصطلاحية منها:

- انها فن التربية .
- طرق و ممارسات التعليم و التربية.
- مجموع الوسائل و الطرق المستخدمة من طرف الفاعلين في التربية.
- و البيداغوجبا العامة تنطبق على كل ما له ارتباط بالعلاقة القائمة بين مدرس و تلميذ آو متعلم في وضعية تعليمية- تعلمية (جابر نصر الدين. 2009.ص، ص 10،11).

إن المدرسون فيما مضى يتعاملون مع طلابهم باعتبارهم كتلة متجانسة ، سواء من حيث قدراتهم العقلية أو من حيث وتيرة تعلمهم ، مما ضيع و لقرون مضت فرصة التعلم و إظهار المواهب على الكثير من التلاميذ الذين يعانون من صعوبات و تأخر في التعلم ، و أدى إلى الفشل في كسب رهان ديمقراطية التربية (مراعاة مبدأ تكافؤ الفرص)، و الحد من ظاهرة الفشل الدراسي و الهدر المدرسي .

و في العصر الحديث ، و تبعا لتطور مختلف العلوم ذات الصلة بالتربية و التعليم ، و البيدغوجيا، و التي أظهرت اختلاف الطلبة في وتيرة تعلمهم ، أصبح التفكير في إستراتيجية تربوية تعليمية تأخذ بعين الاعتبار وجود فروق فردية بين المتعلمين ، ضرورة تربوية و إنسانية، و هكذا تأسست البيداغوجيا الفارقية differentiated pedagogy بهدف دمقرطة التربية و التعليم من خلال توفير تكافؤ الفرص بين المتعلمين ، و أخذ خصوصيات كل تلميذ أو كل مجموعة من التلاميذ بعين الاعتبار ، ومساعدة كل تلميذ على تجاوز تعثراته و تحقيق الكفاية المنشودة.

و للبيداغوجيا الفارقية عدة تعريفات نذكر منها:

* استخدم هذا المفهوم لأول مرة سنة 1973 من طرف المربي الفرنسي " لويس لوغران" Louis Legrand في سياق البحث عن آليات جديدة لتطوير التدريس و محاربة ظاهرة الفشل الدراسي المدرسي. وقد عرف " لوغران" البيداغوجيا الفارقية بأنها طريقة تربوية تستخدم مجموعة من الوسائل التعليمية التعلمية قصد مساعدة الأطفال المختلفين في العمر و القدرات و السلوكات، و المنتمين إلى فصل واحد ، على الوصول بطرق مختلفة إلى الأهداف نفسها. بمعنى أن هذه المقاربة تؤمن بوجـود فروق فردية بين المتعلمين، وتكيف عملية التعليم و التعلم حسب خصوصياتهم، بغية جعل كل فرد داخل الفصل يحقق الأهداف المحددة له.

* يمكن تعريف البيداغوجيا الفارقية بكونها مقاربة تربوية تكون فيها الأنشطة التعليمية وإيقاعاتها مبنية على أساس الفروق والاختلافات التي قد يبرزها المتعلمون في وضعية التعلم ، وقد تكون هذه الفروق معرفية أو وجدانية أو سوسيوثقافية ، وبذلك فهي بيداغوجيا تشكل إطارا تربويا مرنا وقابلا للتغيير حسب خصوصيات المتعلمين والمتعلمات ومواصفاتهم.

*يمكن للبيداغوجيا الفارقية ان تبدو كمنظور شمولي (اتحادي) من اجل استخلاص أهم الجوانب الممكنة من البحوث المتقدمة في البيداغوجيا :يتمثل دور المدرس في تقدير مدى الملاءمة وشروط الاستخدام الجيد لهذا أو ذلك الاقتراح لهذا أو ذلك التلميذ (أو مجموعة من التلاميذ). المعين وفقًا لهذا الهدف وفي هذه الحالة. و كلما كان إلى النطاق المتاح للمدرس متسعا كلما كان من الممكن له أن يميز بيداغوجيته للسماح لأكبر عدد من الطلاب بالنجاح .فهي تسعى لأخذ بعين الاعتبار الفروقات الفردية في كيفية التعليم ، طبعا مع هدف التقليل من الفشل الدراسي (Georgette.Jean Pastiaux.2006. p 52).

* إن البيداغوجيا الفارقية هي بيداغوجيا السيرورات إذ أنها تضع قيد الاستعمال إطارا مرنا ، تتسم التعلمات بما يكفي من الصراحة و التنوع ، حيث يتسنى للتلاميذ الاشتغال وفق مساراتهم للملاءمة مع ملازمة طريقة جماعية لتدريس الدريات و الاتقانات المشتركة و المراد اكتسابها. و تنتظم البيداغوجيا الفارقية انطلاقا من عنصر واحد أو عدة عناصر مميزة بطابع اللا تجانس لدى التلاميذ(عبد الكريم غريب، 2011. ص81).

* و يعرفها جيلاس اوزيلوكس Gilles Auzeloux بأنها مسعى يوكز على تنفيذ مجموعة متنوعة من الوسائل و إجراءات تعليمية– تعلمية لكي تسمح للتلاميذ غير المتجانسين في المعرفة من حيث السن، و القدرات للوصول و بطرق مختلفة لنفس الأهداف المشتركة، من: (circ–bernay.spip.ac–rouen.fr/IMG/pdf/differenciation...).

و باللغة الفرنسية نجد لها عدة تسميا نذكر منها:

Différenciation pédagogique/ Différenciation de l'enseignement/ enseignement différencié/ Différenciation des apprentissage.

و باللغة الانجليزية: mastery learning. differentiated pedagogy

***مسلمات برنس في البيدافوجيا الفارقية.Les postulats de Burns**

•Il n'y a pas deux apprenants qui progressent à la même vitesse.

لا يوجد متعلمان يتقدمان بنفس السرعة.

•Il n'y a pas deux apprenants qui soient prêts à apprendre en même temps.

لا يوجد متعلمان مستعدان للتعلم في نفس الوقت.

•Il n’y a pas deux apprenants qui utilisent les mêmes techniques d’étude.

لا يوجد متعلمان يستخدمان نفس تقنيات الدراسة.

•Il n’y a pas deux apprenants qui possèdent le même répertoire de comportements

لا يوجد متعلمان يمتلكان نفس مجموعة السلوك.

- Il n’y a pas deux apprenants qui résolvent les problèmes exactement de la même manière,

لا يوجد متعلمان يحلان المشكلات بنفس الطريقة تمامًا .

•Il n’y a pas deux apprenants qui possèdent le même profil d’intérêt.

لا يوجد متعلمان يمتلكان نفس ملمح الاهتمام.

•Il n’y a pas deux apprenants qui soient motivés pour atteindre les mêmes buts.

لا يوجد متعلمان يرغبان في تحقيق نفس الأهداف.

من :(pédagogiquewww.pedagogie.ac-nantes.fr).

و نستخلص من هذه التعريفات ما يلي :

– أن البيداغوجيا الفارقية مقاربة تربوية و ليست نظرية .

– تقوم على مبدأ تنويع الطرق و الوسائل التعليمية– التعلمية.

– تأخذ بعين الاعتبار تنوع المتعلمين واختلافهم من حيث السن و القدرات و السلوكات.

– تتسم بخصوصيتها التفريدية للمتعلم، وتعترف بالتلميذ كشخص له إيقاعه الخاص في التعلم و تمثلاته الخاصة.

– تفتح المجال لجميع المتعلمين في الفصل الدراسي الواحد، لبلوغ الأهداف المنشودة بدرجة متساوية أو ملائمة.

– هي واحدة من البيداغوجيات الوظيفية (بيداعوجيا المشروع، بيداغوجيا الخطأ، بيداغوجيا التعاقد، بيداغوجيا اللعب.. .)

سياق ظهور البيداعوجيا الفارقية: جاءت كرد فعل لحل مسالتين أساسيتين كانتا سائدتين في البيداغوجيا التقليدية و هما:

–انتشار فكرة التفريق البيداغوجي بأشكال سلبية (مدارس للأبناء الأغنياء و أخرى لأبناء الفقراء،التفريق، العرقي ، الديني، الجنسي) و الذي لا يرتكز على أسس تربوية.

–المسار الوحيد في التدريس: أي توحيد الخطاب التربوي، المنهج، الطرائق، و من ثم الاهتمام بفئة معينة فقط من المتعلمين دون أخرى.

*** الآثار المترتبة عن إهمال الفروق الفردية في العملية التعليمية:**

يترتب على إهمال مهارة التعامل مع الفروق الفردية في العملية التعليمية –التعلمية آثار سلبية يمكن توضيح ذلك في النقاط التالية:

–على مستوى تحقيق الأهداف:

إذا أهمل المعلم التعامل مع الفروق الفردية بين المتعلمين فلن يستطيع تحقيق أهدافه التعليمية مثل رفع المستوى العلمي لهم، ولا أهدافه الاجتماعية مثل تحقيق التعاون وغرس القيم الأخلاقية، ورفع مستوى المؤسسة التعليمية التي يعمل بها .

-على مستوى وتيرة تقدم المتعلمين :

إذا أهمل المعلم مهارة التعامل مع الفروق الفردية للتلاميذ فسيزداد إحساس المتعثرين منهم بالإحباط والانزواء، و سينخفض مستواهم التعليمي إلى أسوأ مما كان، بينما الطلاب المتفوقون سيبقى مستواهم ثابتا.

- على مستوى التفاعل عند المدرسين:

سيترتب على انخفاض أداء الطلاب إحباط لدى المدرس، لأنه على الرغم من إتقانه للمادة والشرح ومحاولاته الجادة في العمل، إلا أن الحصيلة الأخيرة لا ترضيه بل تحبطه، مما يكون له أسوأ الأثر عليه وعلى تفاعله مع الطلاب.

هذه الآثار و غيرها كافية على تقويض العملية التعليمية- التعلمية.

-أسس البيداغوجية الفارقية

تنطلق البيداغوجيا الفارقية من مبدأ وجود فروق فردية بين المتعلمين ، يمكن تلخيصها في الآتي:

*الفوارق الفيزيولوجية(الجنس، البنية الجسمية، الطول، الصحة العامة.. .)

*فوارق معرفية في درجة اكتساب المعارف المفروضة من طرف المؤسسة، و إثراء مساراتهم العقلية. و تتحكم هذه الفروق في تمثلاتهم و مراحل نموهم العملي و طرق تفكيرهم ، واستراتيجيات التعلم لديهم. مثل:النضج العقلي،طرق التفكير،الذكاء، استراتيجيات التعلم... .

*فوارق سوسيو- ثقافية : و تشمل القيم ، المعايير، الاتجاهات، المعتقدات، تاريخ الأسر ، اللغة ، أنماط التنشئة الاجتماعية ، المستوى المعيشي و الخصوصيات الثقافية.

*فوارق سيكولوجية : تتحكم شخصية التلميذ بشكل كبير في دافعيته، إرادته ، انتباهه، اهتماماته ، قدراته الإبداعية ، فضوله ، أهوائه ، توازنه و إيقاعاته في التعلم .

- خصائص البيداغوجيا الفارقية:

باعتبارها بيداغوجيا تعتمد على مبدأ التنوع و المرونة في التعليم ، تتميز البيداغوجيا الفارقية بما يلي:

*انها وسيلة و ليست غاية.

* التفريق بين المتعلمين : بمعنى الفصل والتمييز بينهم ، لتبيان أوجه الاختلاف بينهم .

* بيداغوجيا علمية عملية : تنطلق من تشخيص لواقع معين بأساليب وأدوات علمية دقيقة كالروائز ومختلف الاختبارات...لتحديد أسلوب التدخل المناسب،من خلال دعم علاجي موجه بدقة.

* بيداغوجية فردانية : تعترف للمتعلم بشخصيته وتمثلاته وتصوراته.

* بيداغوجيا متنوعة : تقترح مجموعة من المسارات التعليمية ، تراعي قدرات المتعلمين ، و تستحضر ذكاءاتهم.

* بيداغوجيا تتبع : مسايرة عمل المتعلم من خلال تقديم التغذية الراجعة المناسبة.

* بيداغوجيا تنويعية : وهي التي تستعمل فيها طرائق وتقنيات مختلفة.

* بيداغوجيا متعددة المداخل : وهي المقاربة التي يقدم فيها نفس الدرس ، ويحقق نفس الهدف التربوي باستعمال تقنيات مختلفة بكيفية متزامنة.

* تنطلق من الخصوصيات المحلية والبيئية

معايير التفريق في البيداغوجيا الفارقية:

أ- على أساس التحصيل (المستوى): و يتضمن:

- درجة التمكن أو التحكم: متمكن، متمكن نسبيا، غير متمكن. و تفلدي ألفاظ ضعيف، متوسط و جيد

- إيقاع التعلم : التلميذ يتميز بوتيرة سريعة و أخر بوتيرة أبطأ.

- طرائق التعلم: الاكتشاف، النمذجة، التعلم الذاتي أو التعاوني.. .

-درجة و نوع الذكاء .

ب - الاهتمامات:

أي الهويات و الميولات التي يعبر عنها المتعلم و يختارها ،و و يوجهه المعلم لممارستها في أنشطة النوادي ، الورشات، المسابقات، المناسبات و المعارض.. .

ج **الحاجات** : و هي التي يحددها المعلم من اجل :

- المعالجة الطبية و الدعم النفسي
- الدعم الاجتماعي
- الدعم التربوي: المعالجة(لغير المتمكن) التثبيت(للمتمكن نسبيا) و التقوية (للمتمكن)

مستويات التفريق في البيداغوجيا الفارقية:

أ -المحتوى:

- على أساس المستوى الكمي/الكيفي.مثال: كتقديم نصا كاملا لمجموعة من التلاميذ، جملة لمجموعة أخرى و كلمة أو كلمات لمجموعة ثالثة.أو قصة أو نشيد أو لعبة .

- و إعطاء أعداد من رقمين لمجموع و من ثلاثة أرقام لمجموعة أخرى من المتعلمين .

ب- الوسائل:

- يتم التعامل بصور و أشرطة الفيديو مع مجموعة من المتعلمين.

– و يتعامل المدرس بأشرطة صوتية مع مجموعة أخرى.

–و مجموعة ثالثة يتعامل معا بمجسمات أو وسائل إيضاح أو بمشاهد حقيقية كزيارة المتاحف و حدائق الحيوانات.

ج–**الطرائق منها:**

–الاستقرائية/ الاستنباطية

–المناقشة، القصة،و الخيال الموجه.

–حل المشكلة، التجارب.